الباب الثالث
المدح فى شعر النابغة الذبيانى
الفصل الاول
"مفهوم المدح"

المدح هو غرض من اغراض الشعر وفن من فنون الأدب لاسيما فى الشعر. المدح لغويا هو تقريظ، تمجيد، إبراز الحسنات.[١]

وهو مشتق من الفعل الثلاثى مدح (مدحه) بمعنى اثنى عليه.[٢] وفى المعجم الوسيط مدحه-مدحا هو اثنى عليه بماله من الصفات[٣] ثم فى المعجم المنجد هواحسن الثناء عليه[٤]، المدح هو تقريظ الاحياء، اي حمد هم ووصفهم بالصفات النبيلة المستحبة.[٥]

إن الشعراء يمدح الرجال بالفضائل الإنسانية الأربعة، وهي: العقل، والشجاعة، والعدل، والعفة. وهذه الفضائل مركبة من الفضائل الاخرى. من اقسام العقل ثقابة المعرفة، والحياء، والبيان،

---

[١] جبور عبد النور، *المعجم الأدبى* (بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٤)، ٢٤٥.

[٢] فؤاد نعمة، ملخص *قواعد اللغة العربية* (دمشق: منشولات دار المكمة، الطبعة التاسعة)، ١٩٤.

[٣] ابراهيم أنيس وآخرون، *المعجم الوسيط*، الجزء الثانى (القاهرة ١٩٧٢)، ٨٥٧.

[٤] لويس معلوف، *المنجد فى اللغة والاعلام* (بيروت: دار المشرق ١٩٨٦)، ٧٥١.

[٥] عمر فروخ، *المنهاج الجديد فى الادب العربى*، الجزء الاول (بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨١) ٥٥٢.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

والسياسة، والكفاية، والصدع بالحجة، والعلم، والحلم من سفاهة الجهلة، وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى، ومن اقسام الشجاعة الحماية، والدفاع، والأخذ بالثأر، والنكاية فى العدو، والمهابة، وقتل الاقران، والسيرفى المهامه الوحشة، وما اشبه ذلك، ومن اقسام العدل السماحة، ويرادف السماحة التغابن، والانظلام، واجابة السائل، وقرى الاضياف، وما جانس ذلك، ومن اقسام العفة القناعة وقلة الشرة، وطهارة الإزار، وغير ذلك مما يجرى مجراه.[٦] وهذا ملائم بتعريف المدح الذى يراه احمد الهاشمى، هو الثناء على ذى شأن بما يستحسن من الاخلاق النفية كرجاحة العقل، والعفة، والعدل، والشجاعة، ان هذه الصفات عريقة فيه وفى قومه وبتعداد محاسنة الخلقية.[٧]

بدأت الشعراء فى العصر الجاهلى قصائد مدحهم بذكر الديار والد من والآثار، والبكاء على الاطلال، وذكر الاحباب، ووصفهم والحنين اليهم[٨]. ولابد ان يكون اسلوب شعره جزيلا، وألفاظه لاسوقية ونقية مختارة لابتذال فيها، وان تكون القصيدة

---

[٦] احمد احمد بدوى: *أسس النقد الأدبى عند العربى* (مكتبة نهضة مصر بالفجالة)، ١٨٨.

[٧] احمد الهاشمى، *جواهر الأدب*، الجزء الثانى (مصر: المكتبة التجارية الكبرى ١٩٦٧)، ٢٦.

[٨] احمد احمد بدوى: *أسس النقد الأدبى عند العربى* (مكتبة نهضة مصر بالفجالة)، ١٨٢.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

متوسطة الطول، اذا كانت فى عظيم مكانة، وان كانت فى غير خليفة ولاملك كان للشاعر ان يطيل[٩].

كان المدح فى الجاهلية نوعين ومن بينهما المدح للشكر والاعجاب، أي ان يعجب شاعر برجل خدم قومه او امتاز بخلق حسن او بمكارم عامة فيمدحه او يرى من حق قومه هو ان يفتخر بهم او يمدحهم او يهنئهم. وثانيهما المدح للتكسب، اي ان يمدح الشاعر رجلا غنيا حتى يأخذ منه مقابل ذلك المدح مبلغا من المال.[١٠]

أما المدح للشكر والاعجاب فإنه يغلب على أهل البادية، وكان مديحهم فخرا كله، لأن أساس الطبيعة البدوية فضيلة الإعتماد على النفس، وهي التى تحدث الكبر ياء الصحيحة. ولم يكن المدح للتكسب فى اول نشأة الشعر، أنه تأخر فى الوجود عن كثير من فنون الشعر. لأن اهل البادية لا يتكسب بالشعر، ويغلب هذا على اهل الحضار كما ظهر عند النابغة الذبيانى والأعشى.[١١]

"إن المديح تعداد لجميل المزايا، ووصف للشما ئل الكريمة، واظهار للتقدير العظيم الذى يكنه الشاعر لمن توافرت فيهم تلك

---

[٩] ابو على الحسن بن رشيق، *العمدة الجزء الثانى* (بيروت – لبنان: دار الجيل ١٩٧٢)، ١٢٨.

[١٠] عمر فروخ، *المنهاج الجديد فى الادب العربى*، الجزء الاول (بيروت- لبنان: دار العلم للملايين، ١٩٨١) ٥٢.

[١١] مصطفى صادق الرافعى، *تاريخ آداب العرب*، الجزء الثالث (دار الكتاب العربيين ١٩٧٤)، ٩٤-٩٥.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

المزايا. وكان المديح يومئذ حاجة تطلبها ظروف سياسية واجتماعية من جهة، فظروف اقتصادية من جهة اخرى وليس من الصدقة ان يفرد للمديح يومئذ باب خاص."[١٢]

إن المدح للتكسب ناشئ عن الرغبة ومنبعث عن الرجاء، ومعناهما انه اصله رغبة الشاعر فى المال ورجاؤه ان يحصل على جزيل النوال، إن المدح فى حقيقته لاينبعث عن العاطفة الصادقة التى يحس بها المادح نحو ممدحه الا المدح للشكر والاعجاب. لان العاطفة الصادقة التى ينشأعنها المدح نشأة طبيعية هي عاطفة الإعجاب والتقدير لمن يقرض فيه المادح شعره. واما الرغبة الرجاء فى الحصول على المال فهما غيرعاطفة الإعجاب التى هي المصدر للمدح. الرغبة فى المال والتكسب بالشعر جعلا الشاعر لايفكر فى الممدوح وما يتصف به حقا من صفات السمو والكمال، بقدر تفكيره فى الحصول على اكبر قدر ممكن من العطاء.[١٣] بذلك أن شعر المدح للتكسب فى جملته شعر كاذب، يرفع الوضيع ويعلى من شأن من لايستحق، وأنه ناشئ عن غيرعا طفة صحيحة طبيعية.

---

[١٢] جبور عبد النور، *المعجم الادبى* (دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤)، ٢٤٥.

[١٣] احمد احمد بدوي، *أسس النقد الادبى عند العربى* (مكتبة نهضة مصر بالفجالة)، ٢١٢.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

وهذا فى عصر الحديث لم يقبل، لابد ان يكون المدح للفضائل الانسانية حقا[١٤].

ومن أشهر المداحين فى الجاهلية هم زهير بن أبى سلمى والنابغة الذبيانى والاعشى[١٥]. وكان مديح زهير طبيعيا غايته للشكر والإعجاب ليس للرغبة و للرجاء فى الحصول على المال، ولذلك فضله عمر بن الخطاب بأنه كان لايمدح الرجل إلامافية، ويمدح رجلا من الاشراف بصفات مثله الصحيحة. وأما النابغة الذبيانى فلايكون شعره الا يتكسب من المناذرة والغساسنة وهم ملوك. وكان يرى النابغة ان مديحهم لابد ان يكون طبقة فى الشعر تساوى طبقتهم فى الناس، ولما هرب من النعمان ويعتذر اليه باعتذاراته المشهورة، عمد الى تجويد المديح وزخرفته ينفخ به كبرياءه فيصغر فى جنبها ماأتاه ويتجا وزعنه. وجاء بعد هما الاعشى وهو رجل مجدود فى الشعر، مامدح احدا الا رفعه، وكان الأعشى على التحقيق اول من احترف المديح وابتذله فى طبقات الناس[١٦].

---

[١٤] احمد احمد بدوي، *اسى النقد الادبى عند العربى* (مكتبة نهضة مصر بالفجالة)، ٢١٨.

[١٥] حنا الفاخورى، *تاريخ الادب العربى*، ٦٠.

[١٦] مصطفى صادق الرافعى، *تاريخ الأدب العرب*، الجزء الثالث (بيروت : دار الكتاب العدبين ١٩٧٤)، ٩٥-٩٦.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

الفصل الثانى

"المدح فى شعر النابغة الذبيانى"

كان النابغة الذبيانى من اشهر المداحين فى الجاهلية. أما الاشخاص الذين مدحهم النابغة فهم عادة الملوك سواء كان ملوك الحيرة اوملوك الغسان حتى قيل بأنه شاعر الملوك. وتكسب النابغة ظاهر فى شعره وكان فيه طريقا الى المجد والغنى حتى كان شعره يصل الى منزلة عالية ومكانة رفيعة عند الملوك ونال شيئا كثيرا من عطاء الملوك حتى كان اكله وشربه فى صحاف من الذهب والفضة[١٧].

أما معانى مدح النابغة فاكثرها يرجع إلى ماهو من علو المنزلة، وسعة السلطان، والسخاء، والشجاعة، والجيوش. وأما ميزات مدحه فكثيرة، وقد نجم معظمها عن رغبة الشاعر فى ارضاء الممدوح واستدرار نعمه. وأول مايعترض فى ذلك المدح صبغة من الجلال والفخامة تليق بالملوك. فترى المدح جليلا فى اسلوبه وبحوره والفاظه وموسيقاه.[١٨]

---

[١٧] ابو على الحسن بن رشيق،العمدة *الجزء الاول*، (بيروت: دار الجيل ١٩٧٢)، ٨٠.

[١٨] حنا الفاخورى، *تاريخ الأدب العربى*، ١٣٥-١٣٦.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

ولما غضب النعمان أبو قابوس على النابغة خاف النابغة على حياته ففر من الحيرة، ورجع الى قومه بنى ذبيان، فلبث فيهم فترة، ولكنه لم ينس عيشة القصور، فاتجه الى الغساسنة (اعداء المناذرة) وكان ممن اتصل بهم من امراء الغسانيين عمر وبن الحارث الذى احبه النابغة، ومدحه بمدائح متعددة المشهورة[١٩] كما فى قصائده الآتية:

كلينى لهم، ياأميمة، ناصب # وليل أقاسيه، بطيء الكواكب
تطاعل حتىقلت ليس ليس بمنقض # وليس الذى يرعى النجوم بآئب
وصدر اراح الليل عازب همه # تضاعف فيه الحزن من كل جانب
علي لعمر ونعمة، بعد نعمة # لوالده، ليست بذات عقارب
حلفت يمينا غيرذى مثنوية # ولاعلم، الاحسن ظن بصاحب
لئن كان للقبرين: قبر بجلق # وقبر بصيداء الذى عند حارب
وللحارث الجفنى، سيد قومه # ليلتمسن بالجيش دار المحارب
وثقت له بالنصر، إذ قيل قدغزت # كتائب من غسان، غيرأ شائب
بنوعمه دنيا، وعمر وبن عامر # اولئك قوم، بأسهم غير كاذب
اذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم # عصائب طير، تهتدى بعصائب
يصاحبنهم، حتى يغرن مغارهم # من الضاريات، بالدماء، الدوارب
تراهن خلف القوم خزرا عيونها # جلوس الشيوخ فىثياب المرانب

---

[١٩] محمد احمد المرشدى وآخرون، *الأدب والنصوص والبلاغة*، (مصر: دار المعارف، بجهول السنة)، ٨٧.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

جوانح، قد ايقنّ أن قبيله # اذا ما التقى الجمعان، اول غالب
لهن عليهم عادة قدعرفنها # اذا عرض الخطي فوق الكواثب
على عارفات للطعان، عوابس # بهن كلوم بين دام وجالب
اذا استزلوا عنهن للطعن، أرقلوا # إلى الموت، ار قال الجمال المصاعب
فهم يتساقون المنية بينهم # بأيدهم بيض ، رقاق المضارب
يطير فضاضا بينها كل قونس # ويتبعها منهم فراش المرانب
ولاعيب فيهم غيران سيوفهم # بهن فلول عن قراع الكتائب
تورثن من ازمان يوم حليمة # إلى اليوم قد جربن كل التجارب
تقد السلوقيّ المضاعف نسجه # وتوقد بالصفاح نار الحباحب
بضرب يزيل الهام عن سكناته # وطعن كإيزاغ المخاض الضوارب
لهم شيمة، لم يعطها الله غيرهم # قويم، فما يرجون غير العواقب
رقاق النعال، طيب حجزاتهم # يحيون بالريحان، يوم السباسب
تحييهم بيض الولائد بينهم # واكسية الاضريج فوق المشاجب
يصونون أجسادا، قديما نعيمها # بخالصة الاردان، خضر المناكب
ولايحسبون الخير لاشر بعده # ولايحسبون الشر ضربة لازب
جوت بها غسان ان كنت لاحقا # بقومي، وإذا أعيت علي مذاهبى[٢٠]

[٢٠] عباس عبد الساتر، *ديوان النابغة الذبياني* (بيروت - لبنان: (دار الكتب العلمية ١٩٨٦)، ٢٩-٣٣.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

"يبدأ النابغة هذه القصيدة بالشكوى من طول الليل (قد رأينا مثل شكوى عند امرؤ القيس)، ثم ينتقل إلى مدح الملك عمرو ابن الحارث، ويستطرد إلى ماكان للملك الحارث (والد الملك عمرو) من نعمة عليه أيضا. بعدئذ يتخلص النابغة إلى وصف شجاعة الغساسنة فى الحرب وعظمهم فيها بالانتصار على أعدائهم. وهنا يعرض النابغة بالمناذرة الذين هزمهم الغساسنة فى يوم (معركة) حليمة. ويعد هذا التعريض قلة وفاء فى النابغة لأن المناذرة كانو اقد أغنوه بعطايا هم. وكان هذا التعريض من الأسباب التى زادت فى غضب النعمان أبى قابوس على النابغة. ثم يعود النابغة إلى مدح الغساسنة بالعفة، وإلى وصف حياتهم المنعمة فى الحضارة. لهم دين (عادات) قويم (يجرون فيه على تقاليد اهل الحضر فى اللياقة وحسن المعايشة) ولهم ولائد (خادمات) بيض (من العرق الأبيض) تحييهم (نستقبلهم بالنحية والسلام كلما مرا احدهم بهن). وكذلك لهم لباس كلباس اشراف الروم، لأنهم لا يلبسون لباس البدو".[٢١]

[٢١] عمر فروخ، *المنهاج الجديد فى الأدب العربى*، الجزء الأول (بيروت دار العلم للملايين ١٩٨١)، ٥٥-٥٦.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

وبعد ان عرضت الباحثة مدح النابغة إلى عمرو بن الحارث ملك الغساسنة فى الشام فتعرضت الباحثة مدحه إلى النعمان ملك المناذرة فى الحيرة، ونظمها الشاعر معتذار إليه وما دحاإياه.[٢٢]

"أن ملوك الحيرة وملوك الشام كانوا يبذلون جهودا عنيفة فى فى نشر الدعوة لأنفسهم وساداتهم من الفرس والروم داخل البلاد العربية. والظاهر أن الغسانيين قد استطاعوا فى وقت من الأوقات أن يستهووا النابغة، فسعى إليهم ومدحهم رغم انقطاعه إلى النعمان، فغضب النعمان لذلك وواعد النابغة. وهذا هو الذى نجده فى قصيدة النابغة المشهورة".[٢٣]

قال النابغة يعتذر إلى النعمان بن المنذر ويمدح اياه ويبرر زيارته لبلاط الغساسنة:

اتانى ابيت اللعن أنك لمتنى # وتلك التى اهتم منها وأنصب
فبتّ كأن العائدات فرشننى # هراسا، به يعلى فراشى ويقشب
حلفت فلم اترك لنفسك ريبة # وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عنى خيانة # لمبلغك الواشى أغش واكذب
ولكننى كنت امرألي جانب # من الأرض، فيه مسترّاد مذهب
ملوك واخوان، اذاما أتيتهم # أحكم فى أموالهم واقرب

---

[٢٢] عباس عبد الساتر، *ديوان النابغة الذبيانى* (بيروت - لبنان: (دار الكتب العلمية ١٩٨٦)، ٣٧.

[٢٣] طه حسين، *من تاريخ الأدب العربى*، (بيروت-لبنان: دار العلم للملايين)، ٣٠٠.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

كفعلك فى‌قوم أراك اصطنعتهم # فلم ترهم فى شكر ذلك أذنبوا
فلا تتركنى بالو عيد، كأننى # إلى الناس مطلي به القار، أجرب
الم ترا أن الله أعطاك سورة # ترى كل ملك، دونها يتذبذب
فإنك شمس، والملوك كواكب # إذا طلعت لم يبد منهن كوكب
ولست بمستبق اخالا تلمه # على شعث، اي الرجال المهذب
فإن أك مظلوما فعبد ظلمته # وإن تك ذاعتبى فمثلك يعتب[٢٤]

فظهر من هذا الشعر أن ذنب النابغة إلى النعمان إنما هومدح ملوكا غير النعمان. وهو يعتذر عن هذا المدح بأن هؤلاء الملوك قد أحسنوا إليه وحكموه فى أموالهم فشكر لهم صنعهم. وهو يرى أن هذا الشكر لايصلح أن يكون ذنبا، ويقيم الحجة على النعمان بأنه يصطفى قوما ويحسن إليهم فيشكرون له ذلك، فلايرى هذا الشكر ذنبا، وظاهر أنه انما يعرض هنا بصنيع النعمان فى تخذيل الناس عن الغسانيين واجتذاب أنصارهم إليه.[٢٥]

كما ذكرن أن فى تلك القصيدة اعتذار ومدح. والاعتذار من البيت الاول إلى البيت السابع، وأما المدح فهو من البيت الثامن إلى آخر قصيدته. يبين النابغة للنعمان بن المنذر دوافع ذهابه إلى

---

[٢٤] عمر فروخ، *تاريخ الادب العربى* الجزء الاول، ١٨١.

[٢٥] طه حسين، *فى الأدب الجاهلى*، ٣٠.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

الغساسنة، ويؤكدله أن ماحدث بينهما كان الوشاة كاذبون التى ارادبها الحساد والغساد ما بينهما. وهذه قد ظهر فى البيت الاول الى البيت الرابع. وفى البيت الخامس إلى البيت التاسع هي دوافع النابغة يمدح عمروبن الحارث ملك الغساسنة. يبين النابغة للنعمان أن مدحه أمر طبيعي، كما يحدث عند ماتغدق على جماعة من النس من معروفه واحسانه. ثم البيت الثامن الى آخر قصيدته هو المدح واستمالة إلى العفو. يطلب النابغة النعمان صفحه ويمدحه ويبين له أن لايوجد الانسان لايخطئ إن الانسان محل الحظاء والنسيان[٢٦].

والبيان عن الأساليب البلاغية فى شعره فى المدح سيأتى فى الباب الرابع التالى.

[٢٦] مصطفى اسماعيل سعدية وآخرون، *المثالى فى اللغة العربية*، (مكتبة مصر بجهول السنة)، ٧٢-٧٦.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id